جدلية الأنا والآخر في رواية تاء الخجل لفضيلة الفاروق

أ/ أحلام بوعلاق
جامعة باجي مختار. عنابة

مُلخّص البحث

تطرح الروائية الجزائرية فضيلة الفاروق في روايتها تاء الخجل مجموعة من المعطيات والقضايا التي تتعلق بالمرأة في مجتمع ذكوري بامتياز يعتمد على نظرة أحادية في رؤيته للأشياء، حيث تكشف الرواية مختلف أساليب القمع والإقصاء والتهميش... التي تمارس ضد المرأة من طرف الآخر (الرجل، المجتمع)، معتمدة على جملة من الأحداث الواقعية التي حصلت في فترة حرجة من تاريخ الجزائر،موضحة موقع المرأة منها.

مقدمة:

تعتبر الروائية فضيلة الفاروق من الأديبات الجزائريات والعربيات اللواتي نجحن في نقل صورة المرأة في المجتمع، بكل واقعية ومن دون مساحيق تجميلية. وكان ذلك انطلاقا من لحظة لاختلاس الحب(قصص)، مرورا إلى رواية مزاج مراهقة، ورواية اكتشاف الشهوة، وقد أثارت الروائية في رواياتها العديد من المواضيع الحساسة والمسكوت عنها في المجتمع الجزائري، وكشفت النقاب عن القضايا التي تعتبر من المحرمات الكتابة عنها والخوض فيها. ومن أبرز المواضيع التي سلطت عليها الضوء، كان موضوع "الاغتصاب" الذي تدور حوله رواية تاء الخجل.

انطلاقا من هنا تسلط هذه الورقة البحثية الضوء على رواية تاء الخجل، محاولة الإجابة عن مجموعة من التساؤلات أهمها: كيف تتجسد ثنائية الأنا والآخر في رواية تاء الخجل؟ وما هي العوامل التي تتحكم فيها؟

1. ثنائية المركز والهامش في الرواية:

كرس المجتمع مجموعة من القوانين والضوابط التي أسكتت وقللت من قيمة المرأة عبر التاريخ انطلاقا من رؤية أن "النساء مستبعدات عن كل الأمكنة العامة، مجلسا وسوقا، حيث تُلعب اللعب التي تعتبر عادة كأنها الأكثر جدية في الوجود الإنساني، مثل ألعاب الشرف وهن مستبعدات... فالنساء اللواتي يخضعن لعمل تنشئة اجتماعية ينحو إلى تصغيرهن وإنكارهن، يتمرسن على الفضائل السلبية في التفاني والخنوع والصمت... وهن معرضات دوما للإهانة إذا كنّ ضعيفات، ومثلهن مبادئ الضعف باعتبارها تجسيدات لهشاشة الشرف والحرمة."[1] انطلاقا من هنا تطرح الروائية فضيلة الفاروق[2] إشكالية المركز (الرجل، المجتمع)، والهامش(المرأة)، ونجدها تفتتح روايتها تاء الخجل بعرض وضع المرأة المتدني عبر الزمن، حيث تقول :

منذ العائلة... منذ المدرسة... منذ التقاليد...منذ الإرهاب كل
شيء عني كان تاء للخجل،
كل شيء عنهن كان تاء للخجل،
منذ أسماءنا التي تتعثر عند آخر حرف،
منذ العبوس الذي يستقبلنا عند الولادة،
منذ أقدم من هذا،
منذ والدتي التي ظلت معلقة بزواج ليس زواجا تماما،
منذ كل ما كنت أراه فيها يموت بصمت،
منذ جدتي التي ظلت مشلولة نصف قرن من الزمن،
إثر الضرب المبرح الذي تعرضت له من أخي زوجها وصفقت له
القبيلة وأغمض القانون عنه عينيه.
منذ القدم،
منذ الجواري والحريم،
منذ الحروب التي تقوم من أجل المزيد من الغنائم،

منهنّ... إليّ أنا لا شيء تغير سوى تنوع في وسائل القمع وانتهاك كرامة النساء.[3]

فقد رسخت تاء التأنيث فكرة الدونية عن المرأة، وخلقت فوارق بينها وبين الرجل إلى درجة الخجل، "فالتمييز العنصري بين المولود الذكر والمولودة الأنثى هو هاجس يسكن ذاكرة كل أنثى، واستطاعت الروائية أن تحمله أبعادا إنسانية أخرى، أوسع فضاء وأقدر على التأثير في المتلقي مما يجعل الرسالة تصل بوضوح رغم صعوبة رموز شيفراتها، فتاء التأنيث صارت لعنة تحل بكل نساء الكون لأنها تضعها وتصنفها في خانة الإناث لا الذكور.[4] فالمجتمعات العربية لم تغير نظرتها الدونية للمرأة، بل سعت عبر العصور لتطوير أساليب جديدة لقمعها أكثر وكتم أنفاسها، فكان ظلم المرأة متوارثا من الأجداد إلى الآباء إلى الأبناء الذكور، وكان تمييز المجتمع الذكوري بين الأنثى والذكر منذ الجواري والحريم.

توضح فضيلة الفاروق أن إقصاء المرأة وتهميشها يبدأ من العائلة، ويظهر ذلك في نمط الحياة الذي تعيشه "خالدة" بطلة رواية تاء الخجل "أما ما يجعلني فعلا أفقد أعصابي فهو فترة الغذاء يوم الجمعة، إذ علينا نحن النساء أن ننتظر عودة الرجال من المسجد وبعد أن ينتهوا من تناول الغذاء يأتي دورنا نحن النساء، كنا جميعا نجتمع عند العمة تونس، وكنت أكره ذلك التقليد الذي يجعل منا قطيعا من الدرجة الثانية."[5]

لم يتوقف ظلم المرأة عند هذه التصرفات والفروقات التي جعلتها أدنى مرتبة من الرجل، بل تجاوز إلى معاملات جعلتها أكثر دونية وتهميشا، فالمرأة التي لاتنجب ذكرا للعائلة مصيرها الطلاق، أو تُعزل وتنبذ، وهو ما حدث لوالدة خالدة التي لم تنجب ذكرا "منذ ذلك اليوم لم نعد نرى والدي إلا مرة أو مرتين في الأسبوع، وفيما بعد عرفت أنه تزوج امرأة بإمكانها أن تنجب له أطفالا ذكورا ما دامت أمي غير قادرة على فعل ذلك."[6] إن تكريس الفوارق بين الذكور والإناث جعل المرأة أقل قيمة من الرجل وهو ما دفعها لتعلن رفض هويتها الأنثوية والتخلص منها لأنها دليل الذل والدونية والهامشية، فكثيرا ما تمنت خالدة أن تكون ذكرا، لذلك دخلت في مغامرة التخلي عن الأنوثة

للتخلص من عقدة النقص التي تلاحق أنوثتها، "كثيرا ما تمنيت أن أكون صبيا، لهذا كثيرا ما هربت من أنوثتي، وكثيرا ما هربت منك أنت لأنك مرادف لتلك الأنوثة."[7]

تتجسد ثنائية المركز والهامش بوضوح في علاقة المرأة بالرجل في المجتمع الجزائري، مجتمع ذكوري بامتياز، حيث تمنع النساء من الخروج إلى الشارع في سن مبكرة من العمر خوفا عليهن من مخاطر الخارج، كما تحرم من مواصلة تعليمها والالتحاق بالعمل الذي ظل حكرا على الرجل، متناسين أنّ للمرأة روحا تحمل آمالا وأحلاما، ولها نَفْسا تحلم بالحرية لوضع بصماتها في المجتمع بإنجازاتها، ولكن للأسف، فالمجتمع قسّم المراتب مسبقا، وجعل المرأة في أسفل الترتيب ووضع الرجل في مركز القوة التي مارس من خلالها سيطرته على المرأة وأحكم قبضته عليها.

تعبر خالدة عن وضعها في الحياة وهو وضع لا يختلف كثيرا عن غيرها من بنات جنسها، "كنت مشروع أنثى، ولم أصبح أنثى تماما بسبب الظروف، كنت مشروع كاتبة ولم أصبح كذلك إلا حين خسرت الإنسانة إلى الأبد، كنت مشروع حياة ولم أحقق من ذلك المشروع سوى عشره."[8]

2. الأنا والآخر.. وإشكالية التغييب:

ظلّ وضع المرأة هامشيا عبر التاريخ الذي يكشف ما تعرضت له من مختلف أنواع الاضطهاد والظلم والإقصاء... فقد أُجبرت عبر الزمن على الخضوع لإرادة الرجل، من خلال إقناعها أنها أقل مستوى منه سواء في الخصائص البيولوجية أو الذهنية أو الجسمية...رغم "أنّ المرأة منذ فجر التاريخ حتى اليوم قد برهنت على ذكاء عظيم ودقة إحساس تستثير الإعجاب، ولقد ظهرت في ميادين النشاط الفكري شاعرة فياضة بالوحي الإلهي وناثرة قديرة على إيقاظ أنبل عواطفنا الإنسانية، واستطاعت أن تكون رئيسة وحاكمة وقائدة جيوش وسياسية محنكة..."[9] كما رافقت الرجل وكانت بجانبه وحققت نجاحات يشهد التاريخ بعظمتها، إلا أنّ ذلك لم يشفع لها ويخلصها من نظرة الهامشية التي حُكم بها عليها مسبقا.

تستمر فضيلة الفاروق في عرض وقائع المجتمع الجزائري الذي تفنن في تغييب صوت المرأة حتى وإن كانت هي الضحية، فقوانينه تفرض عليها دفع ثمن ذنب لم تقترفه، و قد سلطت الضوء على موضوع حساس في المجتمع الجزائري والعربي، وهو "الاغتصاب" الذي تدور حوله رواية تاء الخجل، حيث تمضي خالدة في تحقيقها في موضوع الاغتصاب، إلا أنها تفاجئ بما لم تتوقعه حين انتشر خبر انتحار طفلة في الثامنة من عمرها، "لم أصدق أن الأطفال ينتحرون لهذا حققت في الموضوع وبعد أن رمتني تفاصيله في أكثر من متاهة، اكتشفت أن الوالد هو الذي رمى بابنته من على الجسر، نسي الناس الاغتصابات الجماعية وصاروا يفكرون بريمة، قال إنه خلصها من العار لأنها اغتصبت."[10]لأنّ الاغتصاب يعني الشرف الذي يقع بين الدفاع عنه أو خسارته، فخسارته تعني خسارة الحياة، لذا يجب أن تموت ريمة ببراءتها حسب قانون المجتمع الأبوي الذي يحكم بالإعدام على كل مغتصبة لا حول لها ولا قوة فيما صار لها، لأن العار سيلاحقها حتى وإن بقيت على قيد الحياة. وهو ما دفع معظم المغتصبات في الجزائر إلى الانتحار أو الجنون "وحدهن المغتصبات يعرفن معنى انتهاك الجسد، وانتهاك الأنا، وحدهن يعرفن وصمة العار، وحدهن يعرفن التشرد والدعارة والانتحار، وحدهن يعرفن الفتاوى التي أباحت الاغتصاب."[11]

فالآخر (الرجل، المجتمع) الذييدعي المحافظة على المرأة هو من يقمعها ويقتلها فيصمت، ويحكم عليها بالموت لأنها أنثى تحمل العار في كل ثناياها، وهو ما يعيدنا إلى فترة الجاهلية ووأد البنات لمجرد أنهن من جنس الأنثى. لم تتغير الذهنيات بتاتا وإنما تغيرت طريقة وتطور ممارسة القمع ضد المرأة، وتجعلنا قضية الطفلة ريمة التي لم تتجاوز الثامنة من عمرها في حيرة! فهي ضحية اغتصاب من وحش بشري في الأربعين يقطن بالحي نفسه، إلا أن العقاب طالها هي الضحية وحكم عليها تبعا لتقاليد المجتمع البالية بالإعدام، فانتهت حياتها على يد والدها الذي ألقى بها من على جسر "سيديمْسيد" ظنا منه أنه سيمحو العار، "هنا العدل يصنعه الرجال حسب تصوراتهم الضيقة، فالمادة336 من قانون العقوبات الجزائري الخاصة بهتك العرض تنص على معاقبة كل من ارتكب جناية

اغتصاب بالسجن المؤقت من خمس إلى عشر سنوات، وإذا وقع هتك العرض ضد قاصرة لم تكمل السادسة عشرة فتكون العقوبة بالسجن المؤقت من عشر إلى عشرين سنة...[12] إلا أن القانون لم ينصف براءة ريمة، والكثير من الزهرات اللاتي يعشن بين أشواك العار والجنون لعدم انصافهن من طرف القانون، وتبعا لذلك تجسد"المرأة أفصح الأمثلة عن وضعية القهر بكل أوجهها وديناميا‌تها ودفاعاتها في المجتمع المتخلف، في وضعيتها تتجمع كل تناقضات ذلك المجتمع، وفي سلوكها وتوجهها تظهر كل الأوليات التي عددنا، إنها أفصح معبر عن العجز والقصور، وعقد النقص والعار... فهي أكثر العناصر الاجتماعية تعرضا للتبخيس في قيمتها على جميع الأصعدة، الجنس، الجسد، الفكر، الإنتاج، المكانة."[13]

ولكن هل نجحت هذه الطرق والوسائل القمعية في إسكات المرأة؟ وتخويفها من الحياة خارج جناح الرجل؟

3 . مرحلة التمرد" صراع الأنا والآخر":

منحت فضيلة الفاروق دور البطولة في روايتها "تاء الخجل" للمرأة، كما أن معظم الشخصيات التي تدور حولها الرواية تتعلق بما تعيشه المرأة وتتعرض له من ظلم من طرف الآخر (الرجل)، حيث أبرزت أنه رغم الظلم والإسكات والإقصاء... الذي تتعرض له "المرأة"، إلا أنها قادرة على تحدي تقاليد المجتمع البالية، وعادات العائلة القاهرة، وهيمنة الرجل والمجتمع المميتة، وانتشال نفسها والانتصار لغيرها من النساء المستضعفات.

كان أول تحدي رفعته المرأة هو حقها في التعليم، حيث كان هذا المطلب مثار جدل عبر التاريخ، لأن المرأة حسب التقاليد المتوارثة"تابع لاحرية له ولا إرادة ولا كيان، إنها ملكية الأسرة منذ أن تولد وحتى تموت (الأب أولا، ثم الأخ، وبعد ذلك الزوج، مكانتها في أن تكون ما أريد لها ليس إلا."[14] فاقتصر التعليم والقراءة والكتابة على الرجل وحده، حيث "تَظهر اللغة تاريخيا وواقعيا على أنها مؤسسة ذكورية، وهي إحدى قلاع الرجل الحصينة."[15] مُنعت المرأة من الاقتراب منها والدخول إليها لأنها من

اختصاص الرجل وحكرا عليه. إضافة إلى ذلك ظلت المرأة بعيدة عن تعلم الكتابة تبعا للعديد من الأحكام التي صدرت ضد تعلمها، فقد طرح كتاب خير الدين نعمان بن أبي الثناء " الإصابة في منع النساء من الكتابة" إشكالية المرأة والكتابة: "أما تعليم النساء القراءة والكتابة أعوذ بالله، إذ لا أرى شيئا أضر منه بهن، فإنهن لما كن مجبولات على الغدر كان حصولهن على هذه الملكة من أعظم وسائل الشر والفساد، وأما الكتابة فأول ما تقدر المرأة على تأليف الكلام بها، فإنه يكون رسالة إلى زيد ورقعة إلى عمر، وبيتا من الشعر إلى عزب وشيئا آخر إلى رجل آخر، فمثل النساء والكتب والكتابة، كمثل شرير سفيه تهدي إليه سيفا أو سكير تعطيه زجاجة خمر، فاللبيب من الرجال من ترك زوجته في حالة من الجهل والعمى فهو أصلح لهن وأنفع."[16]لأنها غير مؤهلة ولا تمتلك القدرة اللازمة، لذلك فهي مستثنية من تعلم الكتابة .

كما كان الجدل قائما حول إشكالية هل يحق للمرأة أن تكتب؟ ولماذا تكتب المرأة؟ تجيب فضيلة الفاروق: نكتب لنجد من يسمعنا، من يحس بنا وبمعاناتنا قائلة: " كل شيء يثيرني لأكتب، ذكريات الطفولة، الناس الذين أصادفهم في حياتي اليومية، القضايا الإنسانية، وضع الأطفال في بلادي، وضع النساء... أنجذب نحو الفقراء والتعساء والمظلومين بشكل غريب، لهذا تعجّ ذاكرتي بأناس لا يمكن حصرهم، وأود لو أني أملك القدرة لأكتب عنهم جميعا...وقد اهتمت الروائية بالمرأة التي شغلت موقع البطولة في أعمالها الروائية ، حيث صرحت: أنا نسوية، وأدبي يعبر عن مآسي النساء بصدق، أكثر من أي كاتب آخر يظن أنه يحمل هم الإناث في عالمنا العربي. لقد كتب الرجال عن همومهم، ووصفوا النساء بالعاهرات، ومجدوا شخصيات مقززة في أدبهم، والآن جاء دورنا نحن النساء لنعطي نماذج إيجابية لنساء مختلفات.[17] ومعنى أن تطغى المواضيع الخاصة بالمرأة على الأدب الذي تكتبه هو"أنه أدب حي ملتزم يهتم بالفرد من حيث ما هو مضطرب في مختلف مناكب الحياة."[18]لذلك تنكب خالدة على أوراقها لتعيش فصول حياة تختلف عن التي تعيشها وتفرض عليها.

تتحدى خالدة بطلة رواية تاء الخجل سيطرة العائلة وتقاليد المجتمع البالية التي جعلت المرأة في الدرجة الثانية مقارنة بالرجل "كان يزعجني أن أرى سيدي إبراهيم في موقع السلطان وأعمامي وأبناءهم حاشيته المفضلة، يجلسون في غرفة الضيوف حول المائدة الكبيرة، ينتظرون خدمتنا لهم، كانت النسوة يبقين في المطبخ يسكبن الصحون ونحن الصبايا نقوم بتوصيلها، ولهذا كل يوم جمعة أصاب بالصداع، أتمارض وأختار لنفسي موقعا في البستان أو على سلالم السطح لأختفي عن الأنظار، كانت تلك أولى بوادر تمردي ومقاومة العائلة.[19] لكن كيف أواجه والدي وأعمامي وشبان العائلة؟

رفضت خالدة الإقصاء والتهميش الذي تتعرض له، ومضت في تحقيق ذاتها رغم تهديدات رجال العائلة بكسرها وضمها لباقي مثيلاتها،فخرجت للتعليم رافعة التحدي "سأرى من سينكسر أنا أم هم"[20] لتمضي بطموحاتها الكبيرة في عالم رافض لها ولأحلامها، فتكتب لتستعيد حياتها وحريتها المسلوبة، فقد فتحت الكتابة للمرأة مساحة من الحرية تعبر من خلالها عن أوضاعها ومشاكلها وآراءها...تقول خالدة: كانت لعبتي المفضلة أن أصنع أشياء جميلة بالورق، مازال الورق ضروريا في حياتي، مازلت أصنع به أشيائي الجميلة..."[21]، تلون بياضه بكلمات تحمل معاناتها ومعاناة غيرها من النساء، رغم أنه "لطالما نظر إلى المرأة والكتابة بنوع من الريبة، فالمرأة التي تكتب هي المرأة التي ترتكب خطيئة، فقد أسس الخطاب الذكوري منذ التاريخ لهذه القاعدة التي تدخل في نسق الثقافة العربية الذكورية التي عملت لزمن طويل على إبعاد المرأة عن حقل الكتابة، أن تكتب المرأة معناه خروجها من دائرة الصمت التي حصرت فيها وأن تخرج المرأة عن صمتها بفعل الكتابة مفاده أن تقول، أن تفعل، باختصار أن تنافس وتشارك الرجل في سلطة بناها وفق مقاييسه وهذا مالا يقبله الرجل أو أي صاحب سلطة على وجه العموم."[22] ورغم كل هذا" يبقى الواقع ومستجداته هاجسا يكبد آمالها وتطلعاتها بين الفينة والأخرى، فأفرزت تلك الظروف لدى الأنثى أوجاعا أنهكت قواها باحثة عن سبيل للتملص منها."[23]

نبشت فضيلة الفاروق في جراح الوطن من خلال عرض صورة الأوضاع السياسية والاجتماعية والدينية التي مرت بها الجزائر في فترة سيطرت فيها جماعات سياسية متطرفة تسترت بعباءة الدين لممارسة قانونها الخاص، الذي أدخل البلاد في دوامة حمراء بدماء الشرفاء والأبرياء والشعب الأعزل، رغم كل تلك المخاطر التي حلت بالبلاد والعباد تغامر خالدة وتتحدى كل القيود والسلاسل التي وضعتها فيها الظروف وتخرج للعمل، للتحري ونقل الحقيقة للرأي العام عبر اشتغالها في مجال الصحافة، "انغمست في العمل الإعلامي، انضممت إلى جريدة الرأي الآخر المعارضة والتي كانت مزيجا من الإسلاميين والديموقراطيين والعلمانيين. كنا نتفق عموما رغم أن البعض لا يصافح النساء والبعض يصافحهن، كان ذلك قبل أن تمتد الخلافات السياسية بين الأحزاب فتصل إلينا لنصبح مؤسسة من الأعداء وتتحول مواقعنا إلى أماكن حربية، لكن حين بلغت موجة اغتيال الصحافيين ذروتها أدركنا جميعا أن باب الحديد الذي نغلق به مقر الجريدة لن يحمينا ما دمنا مشتتين.[24] فموجة قتل الصحافيين لم تكن إلا تعبيرا عن سخط الجماعات المتطرفة من انتشار بشاعة أفعالهم لدى الرأي العام، إذ أن الصحافة بما تملكه من أساليب للتحري قادرة على إقناع وتنوير الرأي العام بما يحدث في الواقع، بعدما تخدر الشعب بمقولات زائفة لونت الحقيقة البشعة التي يعيشها المجتمع،وما زاد الأمر تعقيدا كما ترى خالدة أن"الناس هنا لا يخالفون ما تقوله المآذن، حتى حين قالت:

اللهم زنّ بناتهم.

قالوا: آمين.

وحتى حين قالت: اللهم يتّم أولادهم.

قالوا: آمين.

وحتى حين قالت: اللهم رمّل نساءهم.

قالوا: آمين.

كانوا قد أصيبوا بحمى جبهة الإنقاذ، فغنوا جميعا بعيون مغمضة دعاء الكارثة...[25]

وقد كانت المرأة أكثر المتضررين من هذه السياسة الدينية التي راح ضحيتها الآلاف من الأبرياء، كانت موضة جبهة الإنقاذ!

صرعة.

تغيير...

... ولهذا تنام يمينة نازفة في المستشفى الجامعي حاملة آثار التغيير! ولهذا مئات الزهرات يغتصبن، ما باركه الشعب بالدعوات كان يجب أن يصيب الشعب لا غير.[26]

تكشف خالدة الستار عن النتائج السلبية التي آل إليها المجتمع الجزائري جراء تلك التغييرات الذي صفق لها أغلبية الشعب دون وعي والتي انتهت بالتمرد والعصيان، فقد دفعت المرأة الفاتورة الأكبر منها وكانت المتضرر البريء فيها، كما تشير خالدة إلى فتاوى الجماعات المتطرفة، ودينهم الجديد الذي أعاد سنّ القوانين الدينية حسب ما يخدم مصلحتهم، فأباحت الفتاوى الاغتصاب، في وثيقة عثر عليها الجيش بعد مجزرة بن طلحة:

الأمير هو الذي يهديها.

لا يقبلها إلا من أهديت له وبإذن الأمير.

لا تجرد من الثياب أمام الأخوة.

لا يجوز النظر إليها بشهوة.

لا تضرب من الإخوة بل ممن أهديت له، فعليه أن يفعل بها ما يشاء في حدود الشرع...[27] أيّ شرع هذا الذي يبيح الاغتصاب؟ أيّ دين هذا الذي يسنّ مثل هذه القوانين والشرائع؟، أيّ عدل هذا الذي يبيح عرض وشرف المرأة من دون رحمة ولا إنسانية؟ فمن يعرف رحمة الإسلام من بين كل هؤلاء؟

لا أحد.

فالبعض يغتصب النساء باسمه.

والبعض ينبذهن باسمه.

والبعض يمنحهن تعويضا من الولاية يعادل ألفي دينار باسمه.

والبعض ينكر أنهم ضحايا باسمه.
والجمعيات النسائية تستنكر وتصرخ
وجمعيات ضحايا الإرهاب تستنكر وتصرخ.[28]

توضح رواية تاء الخجل الاستبعاد الذي تعانيه المرأة في معظم المجالات، وهو ما يشير إليه التحقيق الذي قامت به خالدة، ويظهر أن النساء مستبعدات عن المجال السياسي الذي ظل حكرا على الرجل الذي منع المرأة من إبداء رأيها في القضايا السياسية، بل وتمادى في النيابة عنها في الأمر، وهو ما اكتشفته خالدة أثناء تحقيقها في قضية المغتصبات، وحديثها مع ضابط الشرطة الذي يحقق في قضية ما إذا كان تمّ اختطافهن؟ أم التحقن بإرادتهن مع الجماعات؟ لأن التحقيق كشف أنّ أغلبهن ينتمين إلى تيارات إسلامية، تجيب خالدة: "أي امرأة هذه التي تذهب إلى مقر حزب وتعلن انتماءها؟ إنك تعرف جيدا أنّ أغلب النساء لسن مسؤولات عن أنفسهن، فغالبا ما يقوم أحد رجال العائلة بتسجيلهن كمنتميات لأحزاب فيما لا علاقة لهن بالسياسة."[29]لأن المرأة بالنسبة لهم تابع لا حرية له ولا إرادة منذ أن تولد حتى تموت.

إن الصورة التي تقدمها رواية تاء الخجل تشير إلى أن المرأة المثقفة التي تحدت تقاليد المجتمع البالية، وتعلمت وعملت إلى جانب الرجل، تعتبر أكثر وعيا بالقضايا السياسية والاجتماعية والدينية...، فهاهي خالدة تبحث وتحقق وتكشف الستار عن حقائق بشعة تحدث في المجتمع الجزائري، كانت المرأة أكبر متضرر فيها، فتقدم إحصائيات رهيبة لأحداث وقعت لما كانت الأوضاع السياسية في البلاد مضطربة"سنة العار... سنة 1994 التي شهدت اغتيال 151 امرأة، واختطاف 12 امرأة من الوسط الريفي المعدم، ثم ابتداء من عام 1995 أصبح الخطف والاغتصاب إستراتيجية حربية، إذ أعلنت الجماعات الإسلامية المسلحة G I A في بيانها رقم 28 الصادر في 30 نيسان أفريل أنها وسعت دائرة معركتها: " للانتصار للشرف بقتل نساءهم ونساء من يحاربوننا أينما كانوا... تضاربت الأرقام بطريقة مثيرة للانتباه في حضور قانون الصمت، 1013 امرأة

ضحية الاغتصاب الإرهابي بين سنتي 1994 و1997، إضافة إلى ألفيْ امرأة منذ سنة 1997..."[30]

تمحورت رواية تاء الخجل حول العديد من المواضيع الاجتماعية والسياسية والدينية الحساسة التي مرّ بها المجتمع الجزائري، حيث شغلت قضية المرأة والمشاكل التي تقبع فيها والصعوبات التي تعترضها مساحة واسعة منها،فأبرزت مختلف وسائل القمع الذي تتعرض له المرأة من المؤسسة الذكورية "الرجل، المجتمع"، وبذلك تكون الأديبة فضيلة الفاروق مثال المرأة الجزائرية المتعلمة والواعية والمثقفة، حملت كتاباتها الأدبية مواقفها وآراءها في مختلف المواضيع المسموحة والممنوعة، كما تحدت التقاليد الرجعية التي سيطرت على الذهنيات ردحا من الزمن، ما جعل المجتمع الجزائري يتكبد تخلفا وتراجعا كبيرين مقارنة مع المجتمعات المتقدمة. فهي أبرز مثال على نموذج المثقف الواعي الذي لا يسمح لأي سلطة أو قوة بتوجيهه، فقد آمنت الأديبة وجسدت مقولة المفكر إدوارد سعيد الذي يدعو المثقف"ألا يتوقف عن تذكير نفسه بأنه، باعتباره مفكرا أو مثقفا، يتحمل دون غيره مسؤولية الاختيار بين تمثيل الحقيقة بأقصى ما يستطيع من طاقة، وبين السماح لراع من الرعاة، أو سلطة من السلطات بتوجيهه...[31]

خاتمة:

لابد من الإشارة إلى أن رواية تاء الخجل لفضيلة الفاروق تعتبر من الروايات النسائية العربية التي تناولت طرح موضوع حساس ومسكوت عنه وهو "الاغتصاب" الذي ظل ممنوعا الخوض فيه والكتابة عنه رغم تفشيه في المجتمع بصورة كبيرة، كما تعتبر رواية تاء الخجل من الروايات التي كشفت النقاب عن مختلف أنواع القمع والتقليل والإقصاء الذي تتعرض له المرأة العربية عامة والجزائرية خاصة، حيث صورت وعرضت قضايا اجتماعية وسياسية ودينية واسعة موضحة موقع المرأة منها، وقد اختارت فضيلة الفاروق الرواية لأنها أصدق وأقرب الأجناس الأدبية تعبيرا عن الواقع، فكانت الكتابة الأدبية وسيلتها لنقل مختلف القضايا السيكولوجية للمرأة.

إن من يقرأ رواية تاء الخجل لفضيلة الفاروق يفهم أنها ثائرة ضد الظلم بصفة عامة وظلم المرأة بصفة خاصة، وهو ما جعل أغلب شخصيات روايتها من العنصر النسوي، وتبعا لذلك تكون رواية تاء الخجل من الأعمال الروائية الناجحة التي جسدت جدلية الأنا والآخر القائمة بين المرأة والرجل في المجتمع. فقد تحدثت بصوت من لا صوت لهم ونقلت واقع المرأة من دون مساحيق، وبصورة درامية واقعية، دعت من خلالها نساء الجزائر والعرب والعالم إلى كسر تقاليد المجتمع البالية، وتحدي كل الحواجز التي تقف في طريق تنمية وإبراز قدراتها كأنثى ناجحة، ورد الاعتبار لصورتها التي شوهت عبر التاريخ. ويتضح ذلك من خلال تقديمها صورة ايجابية للمرأة الناجحة التي رفعت التحدي وخاضت مغامرات التعليم والعمل والسياسة... وهذا بهدف تشجيع معظم النساء على الخروج من قوقعة الخوف والتردد ومحو تلك الصورة الدونية المزيفة التي ترسخت عنهن في الذهنيات منذ القديم.

هوامش:

[1] . بيار بورديو: الهيمنة الذكورية، ترجمة: سلمان قعفراني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2009، ص84/82/81.

[2] .**فضيلة الفاروق**: من مواليد 20نوفمبر1967في مدينة آريسبقلب جبال الأوراس، التابعة لولاية باتنة شرق الجزائر. هي كاتبة جزائرية تنتمي لعائلة ملكميالثورية المثقفة التي اشتهرت بمهنة الطب في المنطقة، واليوم أغلب أفراد هذه العائلة يعملون في حقل الرياضيات والإعلام الآلي والقضاء. نالت شهادة البكالوريا سنة 1987قسم الرياضيات والتحقت بجامعة باتنة كلية الطبلمدة سنتين، حيث أخفقت في مواصلة دراسة الطب الذي يتعارض مع ميولاتها الأدبية، إذ كانت كلية الطب خيار والدها المصور الصحفي آنذاك في جريدة النصر الصادرة في قسنطينة، عادت إلى جامعة قسنطينة والتحقت بمعهد الأدب وهناك ومنذ أوّل سنة وجدت طريقها، فقد فجرت مدينة قسنطينة مواهبها. تميزت فضيلة الفاروق بثورتها وتمردها على كل ما هو مألوف، بقلمها ولغتها الجريئة، لها عدة أعمال روائية متميزة:" لحظة لاختلاس الحب" سنة و"مزاج مراهقة"، رواية تاء الخجل، ورواية اكتشاف الشهوة ورواية أقاليم الخوف.

[3] . فضيلة الفاروق: تاء الخجل، رياض الريس للكتب والنشر، لبنان، ط2، 2006، ص 12/11.

[4] . رنا عبد الحميد سلمان الضمور: الرقيب وآليات التعبير في الرواية النسوية العربية، أطروحة دكتوراه في الدراسات الأدبية، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة مؤتة، 2009، ص61.

[5] . تاء الخجل: ص24.

[6] . تاء الخجل: ص20.

[7] . تاء الخجل: ص22، 12.

[8] . تاء الخجل: ص15.

[9] . محمد بدر معبدي: أدب النساء (في الجاهلية والاسلام)، مكتبة الآداب، مصر، ص 04.

[10] . تاء الخجل: ص39.

[11] . تاء الخجل: ص56.

[12] . تاء الخجل: ص55.

[13] . مصطفى حجازي: التخلف الاجتماعي (مدخل إلى سيكولوجية الانسان المقهور)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء/بيروت، ط9، 2005، ص199.

[14] . المرجع نفسه: ص200/199.

[15] . عبد الله الغذامي: المرأة واللغة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء/ بيروت، ط3، 2006، ص111.

[16] . عبد الله الغذامي: المرأة واللغة، ص111/ 112، نقلا عن سمير المانع، الثنائية اللندنية، لندن، 1979، ص40.

[17] . للاطلاع أكثر على الموضوع انظر: محاورات مع الروائية فضيلة الفاروق، حاورتها الباحثة: أسماء حديد، http://www.elwatandz.com/culture/16665.html

[18] . عبد الملك مرتاض: نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر"1925 ـ 1954"، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983، ص13.

[19] . تاء الخجل: ص24.

[20] . تاء الخجل: ص29.

[21] . تاء الخجل: ص55.

[22] . للاطلاع أكثر على الموضوع انظر: سعيدة بن بوزة: الهوية والاختلاف في الرواية النسوية في المغرب العربي، بحث مقدم لنيل شهادة الدكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2008/2007.

[23] . جعفر بايوش الأدب الجزائري الجديد" التجربة والمآل" المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجية الاجتماعية والثقافية، الجزائر، ص143

[24] . تاء الخجل: ص34.

[25] . تاء الخجل: ص52/51.

[26] . تاء الخجل: ص52.

[27] . تاء الخجل: ص56.

[28] . تاء الخجل: ص 56.

[29] . تاء الخجل: ص68.

[30] . تاء الخجل: ص36.

[31] . إدوارد سعيد: المثقف والسلطة، ترجمة: محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2006، ص198.